مقـــالة

بطانة الجماعات والأخلاق

لفضيلة الشيخ

أحمد السبيعي

الجمعة: ١٤/ ١٢/ ٢٠١٨ الموافق ٧ ربيع الثاني ١٤٤٠

بطانة الجماعات والأخلاق !

١- الشماتة التي أبدتها بطانة الجماعات الإسلامية السياسية بأهل السنة وما يحصل من نزاع بين بعضهم، هي أعظم باعث للمنتسب للسنة لضبط أي نزاع يقع بين المنتسبين إلى السنة بالوحي وبأخلاق الصحابة.

٢- واستثمار هذه البطانة لهذا النزاع للشماتة والطعن، دليل صارخ أيضًا على أن هذه البطانة هي السابقة للظلم والبغي وسنّ السنة السيئة في ضعف الأخلاق.

٣- وامتحان أهل السنة بأنواع أهل الأهواء ومعاداتهم هو من فضل الله عليهم؛ لتطهيرهم وتزكيتهم ونصرهم، فلا تزيدهم شرور وبغي وعدوان أهل الأهواء إلا رفعة وزكاة وعدلًا وإنصافًا، يجعلهم يرتقون في مدارج الكمال -إذا اتقوا الله-. بينما يزداد أهل الأهواء ميلًا وانحدارًا ظاهرًا للعيان، خاصة حين يغتنمون ما يؤلم من الخلاف في صالح انتقامهم وبغيهم وعدوانهم، مما يُظهر حقيقة حالهم لمن التبس عليه أمرهم.

٤- لقد كان ردُّ هارون عليه الصلاة والسلام حاسمًا واضحًا قاطعًا ظاهرًا في حُجته، لمّا عاتبه أخوه موسى عليه الصلاة والسلام فيما جرى في بني إسرائيل من بعده؛ فذكر سببين في اتخاذه مسار الصبر والتأليف:

أ- ترجيح الاجتماع على الفرقة، ﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا • أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي • قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

ب- **السبب الثاني:** خشية شماتة الأعداء، ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. وهذه العلة هي نفسها التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في ترك قتل المنافقين، وهي: حتى لا يقول المشركون: «أنّ محمدًا يقتُل أصحابَه».

فمراعاة الصورة العامة لأهل السنة ودعوتهم من مقاصد الشرع، ومن السمعة المطلوبة الواجبة، والتي لا تتحصل إلا بالصبر والحكمة والأخلاق العالية الحسنة عملًا لا لفظًا، والتي يدركها الناس بالزمن والممارسة. فميزان الناس العام بإيمانهم يبقى شاهدًا باطنًا في نفوسهم في صحة مسلك أهل السنة، وإن كانوا في الظاهر قد يندفعون في غيره تبعًا لمصالح الدنيا والأهواء، ولذلك جُعلت الجنائز فارقًا بين أهل السنة وغيرهم فقيل: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

٥- وليس ما تقدّم من الحكمة ومراعاة المصلحة شاملًا لأمرين:

أحدهما: الإغضاء والسكوت عن المخالفات العلمية لأصول السنة، بل يجب بيانها وإظهار الحق فيها مهما كانت مرتبة المخالف.

والثاني: أن احتواء النزاع بالأخلاق منحصر فيما يسوغ فيه الخلاف أو ليس موضعًا للنزاع.

فهنا يأتي: «ما منّا إلا راد ومردود عليه»، كما كان عليه سلفنا.

ولا ترد وتأتي أبدًا بدعة: «نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بَعضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه». فهذه معالجة بدعية بحتة، بدليل شمولها عمليًّا لخلاف أهل البدع في الابتداء، وقد تشمل حتى خلاف العلمانيين في الانتهاء، كما يعلمه من يرى ما عليه الجماعات الإسلامية السياسية في سيرها ومعالجة مسائل الخلاف مع غيرها.

٦- وربّ ضارة نافعة، فما جرى ويجري لدعوة السنة في مسيرها من إحن ومحن من أبنائها أو ممن خارجها، لا يزيد عودها إلا صلابة ووجهها إلا نضارة، ليحصل الفرقان العلمي الشرعي الكامل المطلوب، وليفتضح مدّعو الأخلاق ذوي المآرب الذين لم يفتحوا قلوبهم لتطهرها السنة، ليفتضح أمرهم عند كل أحد فلا يغتر بهم مسلم. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ

تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

٧- واليوم -بفضل الله وكرمه- دعوة السنة مرشحة للتقدم لنفع المسلمين المتعطشين للنهج الواضح، والذين أرهقتهم الجماعات بزيفها وزيغها وبدعها، وشوهت دعوة السنة في نظرهم بطانة الجماعات بمسالكها المترنحة بين الجماعات والسنة، والمتذبذبة بين السنة والبدعة، والمتناقضة في ألفاظها وأخلاقها. إن مهمة بيان الحق الكامل الواضح قد بدأت اليوم على أشدها بفضل الله، لينصرها المسلمون والمسلمات الصادقون، الذين لم تلوثهم الجماعات ولم يضعف يقينهم من يشكك في الحق، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بقلم الشيخ/ أحمد السبيعي
الجمعة ٧ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ
الموافق ١٤ ديسمبر ٢٠١٨م